الفصل الخامس

منهج الإسلام فى تربية الشباب

(أ) أسس هذا المنهج :

لقد وضع الدين الإسلامى الحنيف منهجًا كاملًا لتربية الشباب ، يقوم هذا المنهج على أساس متين من التخطيط الجيد والتنسيق السليم ، كما أن هذا المنهج يصاحب الوليدَ مُنْذُ كان أملًا يَجُولُ فى خاطر والديه ، وحُلْمًا يُرَاوِدُ أفكارَهُمَا ، إلى أن يُصْبِحَ رجلًا يعتمد عليه فى شئون الحياة ، ويَتَجَلَّى ذلك المنهج فى تلك الدَّعَوَاتِ الخالصة ، والرَّجَوَاتِ الصَّادِقَه الطَّيِّبة ، يقول الله – تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذُرياتنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ (١) .

ويقول عَزَّ من قائل : ﴿ ربِّ هَبْ لى من الصالحين ﴾ (٢) .

ويقول جل ذكره : ﴿ ربِّ أَوْزِعْنِى أن أَشْكُر نِعْمتَكَ التى أَنْعَمْتَ علَىَّ وعلى والدىَّ وأن أعملَ صالحاً ترْضَاه وأَصْلِحْ لِى فى ذُرِّيَّتِى ، إنِّى تُبْتُ إليك وإنِّى من المسلمين ﴾ (٣) .

فدُسْتُورُ المسلمين – شِيباً وَشُبَّانًا – هو القرآن الكريم ، الذى وصَفَه ربُّ

---

(١) سورة الفرقان : ٧٤ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٠ .

(٣) سورة الأحقاف ، جزء من الآية : ١٥ .

العالمين بقوله : ﴿ ونَزَّلْنَا عليكَ الكتاب تِبْيَانًا لكل شىء وهُدًى ورحمة وبُشْرَى للمسلمين ﴾ (١) .

وتَتَجَلَّى الأسْوَةُ الحَسَنَةُ والقُدْوَةُ الطَّيِّبَةَ فى شَخْصِ رسول الله - ﷺ - وفى سُنَّتِه الطهور ، يقول الله - تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كان يَرْجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ وذكَرَ الله كثيرًا ﴾ (٢) .

فلقد كان رسول الله - ﷺ - التَّطْبِيقَ العَمَلِىَّ ، والتَّجْسِيدَ الحَىَّ للقرآن الكريم ، فكان كما وصفته السيدة عائشة - رضى الله عنها - وقد سُئِلَتْ عن خُلُقه فقالت : كان خُلقه القرآن .

(ب) أهم أهداف هذا المنهج :

يهدف منهج الإسلام فى تربية الشباب بصفة عامة إلى مافيه خَيْرُهُم فى الأولى والآخرة ، بتربيتهم دينيًّا وسلوكيًّا وعَمَليًّا واجتماعيًّا ، مع إبْرَازِ الصُّوَرِ المثالية للشباب النَّابِه ، ومقابلتها ببعض الصور غير السَّوِية لتَتَّضِحَ صورة الاستقامة أمامهم فيتمسكوا بها ، كل ذلك من خلال المنهج السليم الذى أشرنا إليه من قبل .

أما أهداف هذا المنهج تفصيليًّا فتتمثل فى المحاور التالية :

١ - العمل على صَلاَح العقيدة .

٢ - العمل على صَفَاءِ الذهن .

٣ - العمل على التَّزودِ بالحجة المقْنِعَة .

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية : ٨٩ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

وفى ذلك يقول الله – تعالى : ﴿ نحن نقصُّ عليك نَبأَهُم بالحق ، إنهم فتية آمنوا بربهم وزِدْنَاهُمْ هُدًى * ورَبَطْنَا على قلوبهم إذْ قاموا فقالوا ربنا ربُّ السمٰواتِ والأرض لنْ ندعُوَ من دونه إلٰهاً لقد قلنا إذًا شَطَطًا * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلِهَة ، لولا يأتون عليهم بسلطان بَيِّن ، فَمَن أظلمُ مِمَّن افْتَرَى علَى الله كَذِبًا ﴾ (١) .

(جـ) ملامح المنهج الإسلامى فى تربية الشباب :

نستطيع تقديم صورة واضحة السِّمات ، ظاهرة القَسَمَات ، لمنهج الإسلام فى تربية الشباب من خلال توضيح الجوانب التربوية السليمة التى وردت فى وصية لقمان الحكيم لابنه ، وهى وصية جامعة ، جاء بيانها فى قول الله – تعالى – : ﴿ وإذْ قال لقمان لابنه وهو يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرك بالله إن الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيم * ووصينا الإنسان بوالديه حملته أُمه وهنًا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلَىَّ المصير * وإنْ جاهداكَ على أن تُشرك بى ماليس لكَ به عِلْمٌ فلا تُطعْهُما وصاحِبْهُمَا فى الدنيا معروفًا ، واتبع سبيلَ من أناب إلَىَّ ، ثم إلَىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * يا بُنَيَّ إنها إنْ تَكُ مثقالَ حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السمٰاوات أو فى الأرض يأتِ بها الله ، إن الله لطيف خبير * يابنى أَقِمِ الصلاة وَأْمُرْ بالمعروف وَانْهَ عَنِ المنكر واصْبِرْ على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور * ولا تُصَعِّرْ خدَّكَ للناس ؛ ولا تَمْشِ فى الأرض مَرَحًا ، إنَّ الله لا يحب كل مختال فخور * وَاقْصِدْ فى مشيك واغضض من صوتك ، إنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الكهف : ١٣ – ١٥ .

(٢) سورة لقمان : ١٣ – ١٩ .

إنها صورة جَذَّابَةٌ رائعة ، ومنهجٌ سديد ، سَاقَهُ الله على لِسَانِ رجُلٍ صالح يَنْشُدُ لولده الكمالَ البشرى ، ويَبْتَغِى له الفلاحَ الإنسانى ، ويَهْدِيه إلى الصِّرَاطِ المستقيم ، هو وأَمْثَالَه من الشباب ، فأَكْرِمْ بها وأَنْعِمْ من وَصِيَّةٍ مُهْدَاةٍ من جيل الآباء إلى أَجْيَال الأبناء ، وقد اشتملت تلك الوصية الجامعة على جوانبَ عظيمة فى التربية والتوجيه ، فهى بحق وصدق نِبْرَاسٌ للمُرَبِّينَ ، ودُسْتورٌ للدعاة والمرشدين ، فضلا عن توجيهها لِلْوَالدَيْن .

وقد تضمنت هذه الوصية الجوانب التربوية التالية :

أولًا : جانب العقيدة :

فإخلاص العقيدة ، وإسلام الوجه لله ، هو أساس التربية السليمة ، ذلك لأن الله هو المَعْبُودُ بِحَقٍّ ، وهو الذى لا يَخْفَى عليه ولا يُعْجِزُهُ شَىْءٌ فى الأرض ولا فى السماء ، فَلُقْمانُ حِينَما يُوصِى ابْنَه بِذلك يُبَيِّنُ له السَّبَبَ من ورائه فيقول : ﴿ إن الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم ﴾ حيث يسوى المشْرِكُ فى عبادته وفى عقيدته مَنْ لا يملك شيئًا بِمَنْ بِيَدِه ملكوتُ كلِّ شىء ، وهذا من أَبْشَعِ الظلم وأَفْحَشِهِ ، فالظلم فى حقيقته يَعْنِى وَضْعَ الحَقِّ فى غيرِ نِصَابه ، وصَرْفَ العبادَةِ لغير الله ، ولقد صور القرآن الكريمُ الشركَ بالتَّرَدِّى والهَوَانِ ، يقول الله تعالى : ﴿ ومن يُشْرِك بالله فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطيرُ أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ (١) . فكأن هذه الصورة توحى بأن من أشرك فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه من إهلاك ، حيث صوَّرت حالَه بحال شىء خَرَّ من السماء فاخْتَطَفَتْه الطير فَتَفَرَّقَ قطعاً فى حواصلها ، أو عَصَفَتْ به الريح حتى هَوَتْ به فى المَهَالِكِ البعيدة ، أو أنه شَبَّهَ الإيمان بالله فى عُلُوِّه بالسَّماء ، والمشرك بالشىء السَّاقِطِ من

---

(١) سورة الحج ، جزء من الآية : ٣١ .

السماء ، والأَهْوَاءِ المُرْدِيَة التى تُوَزِّعُ أفكَارَهُ وتُشَتِّتُها بالطير المختطفة ، والشيطان الذى يُوقعُهُ فى الضلال بالرِّيح التى تَهْوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة .

ثانيًا : جانب العمل :

١ - إقامة الصلاة :

فهو يأمره ثانيًا بإقام الصلاة تحقيقاً للصلة الدائمة بالله ، فهى بَاكُورَةُ ثِمَارِ الإيمان بالله ، وذلك لما لها من فوائد جَمَّة ، فهى تَنْهَى صاحبَها المخلصَ بها عن الفحشاء والمنكر ، يقول الله - تعالى : ﴿ إن الصَّلاَةَ تَنْهَى عن الفَحْشَاءِ والمنكر ، ولَذِكْرُ الله أكبر ، والله يَعْلَمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

٢ - أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر :

وحينما يتحلى العَبْدُ بهذه الصفة فإنه يُسْهِمُ إسْهَامًا إيجابيًّا وفِعْلِيًّا فى تقديم الخير للمجتمع ، حَضًّا على الصَّلاح ، ودفعًا للشر والفساد ، وتلك صفة استأهلت بها أمة الإسلام المكانة المعتدلة والمرموقة بين الأمم ، فى أعظم شهادة سجلها القرآن الكريم ، يقول الله - تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخْرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٢) .

٣ - التحلى بالصبر الجميل :

فعلى المرء أن يصبر على كل مكروه يصيبه فى نفسه أو ماله أو أهله من جَرَّاءِ الدعوة إلى الخير أَثْنَاءَ عُبُورِه قَنْطَرَةَ الدنيا ورِحْلَةَ الحَيَاة ، فالتَّحَلّى بالصبر من فِعْلِ ومن شِيَمِ أصحاب العَزَمَاتِ الصادقة ، ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

---

(١) سورة العنكبوت ، جزء من الآية : ٤٥ .
(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١١٠ .

ثالثاً : جانب السلوك العام :

فقد تضمنت تلك الوصية أيضًا ما ينبغى على الشاب أو الفتى أن يتحلى به من خُلُق حِيَالَ والديه ، وحَيالَ المجتمع الذى هو لَبِنَةٌ من لَبِنَاتِه ، وذلك على نحو مايلى :

١ - بر الوالدين :

وقد سبق لنا بيان ذلك فى الفصل السابق بشىء من الإسهاب .

٢ - السلوك السوى فى المجتمع :

ولتحقيق هذا الهدف فإنه يوصيه بما يلى :

(أ) عدم الإعراض عن الناس أو التعالى عليهم :

فلا ينبغى أن يَتَبَجَّحَ أو يَتَوَقَّحَ فى معاملة الناس زاعمًا فَضْله عليهم : ﴿ ولا تُصَعِّرْ خَدَّك للناس ﴾ تشبيه لهذه الهيئة الزَّريَّة بحال البعير الذى أُصيب بالصُّعَار ، وهو داء يصيب البعير فى عنقه فيلويه من جَرَّاءِ هذه العِلَّةِ ، فكأن الذى يُشِيحُ بوجهه عن الناس تكبرًا إنما هو إنسان مريض بداءٍ خطير .

(ب) البعد عن الزَّهو والخيلاء :

فلا يتجبر ولا يتكبر ولا يغتر ، وعليه بأن يقصد فى مشيه بحيث يكون وَئِيدَ الخَطْوِ لا مُنْتَفِخاً ولا أَهْوَجَ فى سيره ؛ لأنه مهما تكبر أو تجبر فى سيره فلن يؤثر فى الأرض التى يسير عليها ، ﴿ إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ [١] .

---

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٣٧ .

(جـ) تجنب إزعاج الناس بالأصوات المرتفعة :

فلا يَصِيحُ أو يُصْدِرُ أَصْوَاتًا كرِيهَةً من شأنها إقْلاَقُ النَّاسِ وَإزْعَاجُهُمْ ، سواء أكان يُصْدِرُ هذه الأَصْوَاتَ بنفسه أو بآلة ، كالمذياع والتِّلْفَازِ وما شابه ذلك ، أو بما يصدر عن المركبات والدَّرَّاجَات من أصوات مُنَفِّرَةٍ بِغَيْرِ دَاعٍ أو ضرورة ، وبخاصة فى الأماكن التى يحتاج أَهْلُهَا إلى مزيد من الراحة والعناية ، كالمستشفيات والمدارس وما شابهها ، وقد عدت الوصية هذه الصور الصوتية المنفرة والمقِيتَةَ شَبِيهَةً بأَصْواتِ الحَمِيرِ .

وأنت ترى مما تقدم أن هذه صورة جدية ونموذج عملى يجب على الآباء أن يطبقوه ويجسِّدوه لكى يصير واقعاً عمليًّا ، إنْ هم أرادوا خيرَ أنفسهم وخير أبنائهم .

(د) اهتمام الإسلام بجوانب التربية الأخرى :

أولًا : تنمية المهارات الذِّهْنِيَّة والعقلية :

فالإسلام لم يُغْفِل الجانِبَ العقلى لَدَى النَّشْءِ ، بل أَوْلاَه كبيرَ عِنَايَتِهِ ؛ ذلك لأن الشباب دائمًا فى حاجة إلى غِذَاءٍ عَقَلِى ، من الفكر المنظم والحِوَار الهادئ ، وعليه فإن القرآن الكريم يُطالعنا بنماذج مُشَرِّفَةً ، وألوانٍ من الحوار ، كما دار بين خليل الرحمٰن إبراهيم عليه السلام ، وبين النمرود الكافر ، المتطاول على مقام الألوهية ، وهو حِوَارٌ شَائِقٌ ، يقول الله – تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذى حاجَّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذْ قال إبراهيم ربى الذى يُحْيى ويميت ، قال : أنا أُحْيِي وأُميت قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فَأْتِ بها من المغرب فَبُهِتَ الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ [1] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٨ .

فأنت ترى فى هذا الحوار مُجَادَلَةَ الخَصْمِ بالحُجَّةِ تِلْوَ الحُجَّةِ ، والدليلِ تِلْوَ الدليل ، ومُحَاصَرَته فى غَيْرِ لَغَط أو تَشَعُّبٍ فى القضية الأصلية . فالإسلام قد بين المنهج السديد للرد على خصوم الإسلام وأعداء الدين ، ومجادلتهم بالحسنى ، ونحن اليوم أحوج مانكون للأخذ بهذا المنهج ؛ ذلك لأننا نعيش عصرًا يموج بالآراء المذهبية والتيارات الفكرية ، التى يكاد يربطها خَيْطُ واحد ، وهو مُنَاوَأَةُ الإسلام ، حيث يَتَفَانَى فى نَشْرِها أَشْخَاصٌ مُتَحَمِّسُونَ لها ، ويعينهم على هذا وسائل الإعلام الحديثة .

وعليه فقد بات لزامًا على كل مُرَبٍّ وكل أب وكل داع إلى الله أن يعمل على تحصين النشء المسلم ضِدَّ هذه التيارات ، عن طريق إِلْمَامِهِ بالحقيقة الإيمانية ، وكيفية التعبير المرتب ، لكى يستطيع الصُّمُودَ أَمَامَ هذا العُبَاب المتَلاَطِم الذى يموج بالأَنْوَاء .

ثانيًا : العناية باللِّيَاقَةِ البدنية :

فدعوة الإسلام إلى الاهتمام باللياقة البدنية منبثقة من دعوته العامة إلى الأخذ بأسباب القوة بشتى صورها ، سواء أكان ذلك فى جانب العقيدة أو فى الجانب البدنى والروحى ، كالسباحة والرماية وركوب الخيل وغيرها ، شريطة ألَّا تكون مدعاة لتفريط فى عبادة ، أو تضييع لحق ، أو نكال على الناس ، ولقد كان رسول الله - ﷺ - يحضر أمثال تلك الرياضات ، بل ويشجع القائمين بها ، فقد مر على مجموعة من الشباب أثناء تدريبهم على الرماية وكانوا فريقين ، فانْضَمَّ إلى أحدهما وقال لهم : « ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميًا ، ارموا وأنا مع بنى فلان » فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال لهم النبى : « مالكم لا ترمون ؟ » قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

وقد روى البيهقى أن عمر – رضى الله عنه – قال : « علموا أولادكم السباحة والرماية ، ومروهم فَلْيَثِبُوا على ظهور الخيل وثْبًا » .

فالرياضة تعود على الشخص بالفوائد الجمة ، ثقة بالناس والنفس ، وهما أهم عوامل النصر متى اجتمع إليهما الاستقامة وحسن الخلق ، ولا شك أن تعويد النشء على الرياضات المفيدة فى سن مبكرة يكون أفضل منه فى حال تقدم السن .

ثالثًا : إعداد الفتاة نفسيًّا للتحول إلى بيت الزوجية :

١ – التأكيد على تعلمها الدين :

فالدين يغرس فى نفس المرأة الشرف والكمال ، فهى بالدين تغضُّ بصرها ، وتحفظ فرجها ، ولا تبدى من زينتها إلا ما ظهر منها شرعًا ، وهى بالدين تُدْنِى عليها من جلابيبها ، وذلك أدنى أن تُعرفَ فلا تُؤذى ، وهى بالدين لا تخضع بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وهى بالدين تنبذ المساحيق والطلاءات المَغَيِّرة لخلق الله ، وهى بالدين تُنَشِّئُ الأَجْيَالَ الصَّالحة ، التى تتمثل فيها قوة الإسلام ، والتى تأبى الدَّنِيَّة للأوطان ، فَأَرْفِقُوا بها وَرُوضُوها (من الترويض) على كتاب الله ، فَيَوْمَ تكون المرأة عَالِمَةً بأُمُورِ دينها ، حَافِظَةً كِتَابَ ربها ، مُسْتَوْعِبَةً سُنَّةَ نبيها ، يعود للمجتمع وجهه المشرق ، فَيَصُونُهَا بَيْنِ الجُفُونِ والأَحْدَاقِ ، وتَعُودُ لِبُيُوتِ المسلمينَ المَودَّةُ والرَّحمة – بعد طُولِ غِيَاب . ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وَعْدَ الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [1] .

---

(١) سورة الروم ، آخر الآية الرابعة ، ثم الآيات ٥ و ٦ و ٧ .

٢ – تزويدها بالنصائح المفيدة والتوجيهات السديدة :

يجب أن تَحْظَى الفَتَاةُ بِرِعَايَةِ أَهْلِهَا ، وبخاصة الأم ، أَثْنَاءَ الفترة التى يَتِمُّ فيها الارتباط بالخطيب ، وحتى تنتقل إلى عُشِّ الزَّوْجِيَّة ، فتزوِّدُها بكل ما مِنْ شأنه تَحْصِينُ الأُسْرَةِ المُرْتَقَبَةِ ضِدَّ أَىِّ هزات أو تقلبات ، فَتُعَدُّ الإِعْدَادَ النَّفْسِيَّ السَّلِيم ، فى إطارِ المبادئ التالية :

(أ) تلقين النصائح المفيدة .

(ب) التَّزَوُّد بِخِبْرِةِ الأهل عن حُرُمَات البيوت وأسرارها .

(جـ) تلقين واجباتها حِيَالَ الزوج كزوجة ، وحِيَالَ الأبناء كأم حَانِيَةٍ .

(د) نُبَصِّرُهَا بِضَخَامَةِ الْمَسْئُولِيَّةِ وعدم التَّفْرِيطِ فيها .

ومما لا شك فيه أن هذه التوجيهات ستؤتى أطيب الثمرات ، إذا ما نَبَعَتْ من إخلاص النية ، واعتمدت على أساس من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أما إذا اعتمدت على النظرة القاصرة ، والجشع ، وحبِّ التملك والأَثَرَةِ والأنانية ، وإغراق الزوج بما لا طاقة له به ، وتَكْبِيلُهُ بِشَتَّى القُيُود ، فإنها سَتَبُوءُ بالفَشَل وأَوْخَمِ العَوَاقب ، قَصُرَ المدَى أَمْ طَال ، ولعَلَّ السَّبَبَ الرئيسى وراء فشل الكثير من الزِّيجَاتِ إنما يرجع فى الغالب الأعم إلى هذه التَّلْقِينَاتِ الخاطئة ، والإعداد السَّقِيم للفَتَيَاتِ فى مثل هذه المرحلة الحَرِجَة من أَعْمَارِهِن ، والمؤسسة على النظرة المادية البَحْتَةِ ، وعَدَمِ وضع الأُمُور الدينية فى ميزانها الصحيح .

٣ – نماذج من نصائح الأمهات والآباء للفتيات :

لقد كانت الأمهات – حتى فى الجاهلية – يقمن بأداء هذا الواجب خير قيام ، بل وكان الآباء يقومون به أيضًا عند فقد الأمهات ؛ لأن فيه تَوَاصُلَ الأجيال .

وسأعرض فيما يلى بعض هذه الدرر الغالية :

(أ) وصية امرأة عوف بن مُحَلَّم الشيبانى لابنتها :

خطب عمرو بن حجْر (جد امرئ القيس الشاعر) أُمَّ إياس ابنة عوف ابن محلَّم الشيبانى ، وعندما أرادت أن ترحل إلى بيته أوصتها أمها هذه الوصية الجامعة فقالت :

أى بُنَيَّة : إنك فارقتِ بيتك الذى منه خرجْتِ ، وعُشَّكِ الذى فيه دَرَجْتِ ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أَمَةً يكن لك عبدًا ، واحفظى له خصالًا عشرًا يكن لك ذخرًا :

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحُسْن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتَّفَقُّدُ لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منكِ على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ومنامه ، فإن تَوَاتَرَ الجُوْعِ مَلْهَبَةٌ (أى يثير الغضب كاللهب) ، وتَنْغِيصَ النوم مَغْضَبَةٌ .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإِرْعَاءُ على حَشَمِه وعِيَاله ، ومِلاَكُ الأَمْرِ فى المال حُسْنُ التَّقْدِير ، وفى العيال حسنُ التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعْصِينَّ له أمرًا ، ولا تُفْشِينَّ له سرًّا ، فإنك إن عصيت أمرَه أَوْغَرْتِ صَدْرَه ، وإن أَفْشَيْتِ سِرَّه لم تَأْمِنى غَدْرَه ، ثم إياك والفَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ إذا كان مُهْتَماً (أى أصابه الهم) ، والكآبَةَ بين يديه إذا كان فَرِحًا [1] .

---

(١) انظر أدب البنت ص ٤٤ .

ونحن نرى أن هذه الوصية تفيض رِقَّةً وَعُذُوبةً ، وإخلاصَ نُصح وصِدْقَ قَوْل ، فتلك الأم حريصة على وضع النقاط على الحروف أمام ابنتها ، فقد قدمت لها خلاصة تجربتها فى الحياة الزوجية ، لكى تُبَصِّرها بدورها الحقيقى والمُرْتَقَب ، ولم تُسْرِف لها فى مَعْسُول القول ، كما هو شأن النساء اليَوْم ، اللائى يحاولن ترسيخ مفهوم النِّدِّيَّة للرجل فى أذهان بناتهن ، وأن يكون تعاملهن مع الرجال على قدم المساواة ، وإلَّا فإنهن سيصبحن مَهِيضَاتِ الجناح ، مَهْضُومَاتِ الحقوق ، مَغْلُوبَاتٍ على أَمْرِهِنَّ ، وكَأَنَّ الفتاة سَيُزَجُّ بها إلى ساحات الوَغَى ، ومَعَامِعِ القتال ، مما بات يهدد الأسرة بأوخم العواقب ، فليت أمهات اليوم يتأسَّين بأمهات الأمس ، ويجوِّدنَ تلك الوَصِيَّةَ ويَنْطَلِقْنَ بها قُدُمًا إلى الأمام ؛ لِيُحَقِّقْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ الطُّمَأْنِينَةَ ، ولِفَتَيَاتِهِنَّ الاستقرار ، بَدَلاً من إصْغَائِهِنَّ إلى الفِكْرِ الوافد الدَّخِيل ، الذى أظهَرَتِ التجربة زَيْفَهُ ، ولكنهن مع هذا مازِلْنَ مُصِرَّاتٍ على الظَّفَرِ من الماء بالزُّبْدِ .

(ب) وصية أسماء بن خارجة الفزارى :

إذا كان المألوف والمعهود أن تقدم تلك الوصايا للفتيات من الأمهات ، فإن الآباء يقومون بهذا الدور عند فقد الزوجات ، فهذا الرجل قد أوصى ابنته هندًا ليلة زفافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفى ، فقال لها : يابنية : إن الأمهات يؤدبن البنات ، وإن أمك قد هلكت وأنت صغيرة ، فافهمى ما أقول لك :

عليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها قطيعة للود ، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وكونى لزوجك أَمَةً يكن له عبدًا ، واعلمى أنى القَائِلُ لِأُمِّكِ :

خذى العفوَ عنى تَسْتَدِيمى مَوَدَّتى ... ولا تنطقى فى سَوْرَتى حينَ أُغْضَبُ
ولا تَنْقُرِينى نَقْرَةَ الدُّفِّ مَـرَّةً ... فإنك لا تَدْرِينَ كيف المغَيَّبُ ؟
فإنى وجدت الحبَّ فى الصدر والأَذَى ... إذا اجتمعَا لم يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ

فقبلت هند من أبيها وصيته ، وكان الحجاج يصفها فى مجلسه بكل خير [1] .

ليتنا نسلط الضوء على مافى تراثنا من هذه المقْتَنَياتِ ، ونقدمها لأبنائنا وبناتنا ، ونرددها على مسامعهم صباحَ مساءَ ؛ لنصل علاقة الحاضر بالماضى ، ونعمل على إزالة تلك الفجوة المتوهمة والجفوة المصطنعة بين القديم والحديث .

هـ – صُوَرٌ مشرفة يبتغيها الإسلام للشباب :

١ – مناشدة إبراهيم عليه السلام لأبيه :

يقول الله – تعالى :

﴿ واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صِدِّيقًا نبيًّا * إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبدُ مالا يسمع ولا يُبصر ولا يغنى عنك شيئًا * يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يَأْتِكَ فاتبعنى أهدِكَ صراطًا سويًّا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمٰن عصيًّا * يا أبت إنى أخاف أن يمسَّك عذاب من الرحمٰن فتكون للشيطان وليا * قال أراغبٌ أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تَنْتَهِ لَأَرْجُمنَّك واهجرنى مليًّا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألَّا أكون بدعاء ربى شقيًّا ﴾ [2] .

هذه صورة رائعة تتجلى فيها تلك المناشدة القوية المهذبة الرائعة ، من ابن ينصح أباه بكل الحب والإخلاص ، على أساس متين من الأدب الرفيع ، وقوة الخُلُق ، والإيمان العميق ، وهى فوق هذا وذاك مثال رائع لنضال صاحب المبدأ

---

(١) انظر أدب البنت ص ٤٧ .

(٢) سورة مريم الآيات من : ٤١ – ٤٨ .

المؤمن به ، فى عفة قول ، وصدق حديث ، وأدب جدال ، إنها قصة خليل الرحمٰن إبراهيم عليه السلام مع أبيه ...

فما أَبْهَاهَا من صورة ، وما أروعه من أدب ، يقصه علينا القرآن ، لكى يتأسى به الشباب المسلم ، ويحذو حذوه !

٢ - وصية الإنسان باسم إنسانيته :

يقول الله - تعالى :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كُرْهًا ووضعته كُرْهًا وحمله وفِصَالُه ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشُدَّهُ وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت عَلَىَّ وعلى والدَىَّ وأنْ أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وَعْدَ الصِّدْقِ الذى كانوا يوعدون ﴾ (١) .

ففى هذه الصورة القرآنية يوصى الله الإنسان باسم إنسانيته أَنْ يُحسن إلى والديه ، وعلى الأخص الأم ؛ لما نالها من التعب والمشقة ، أثناء حمله ، ولسهرها على رعايته حتى فطامه ، فإذا ماوصل الإنسان ريعان شبابه فى سن الأربعين ، أقرَّ لله بالنعمة ، واعترف لوالديه بجميل الصنيع ، فهو يتجه إلى الله فى خشوع طالبًا منه أن يعينه على شكر نعمته ، وأن يعينه على عمل الصالحات ، وأن يصلح له ذريته ، فهذه هى اللَّبِنَات القوية الصالحة التى يقوم عليها المجتمع الصالح ، وبها يكون صلاح أمر الإسلام ، وعليها يقع عبء انتصار كلمة الحق فى كل عصر وجيل .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(و) صورة يُنَفِّرُ الإسلام منها :

يقول الله – تعالى :

﴿ والذى قال لوالديه أُفٍّ لكما أَتَعِدَانِنى أَنْ أُخْرَجَ وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إنَّ وَعْدَ الله حق فيقول ماهذا إلَّا أساطير الأولين * أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ (١) .

هذه صورة صنف آخر من الشباب على النقيض من الصورة السابقة ، فهى لصنف مغرور ، أكل الزَّهْوُ والعُجْبُ أَدْمِغَتَهُم ، يحسبون أنهم على شىء من العلم ، فيتطاولون على الناس ، وَمَاهُمْ فى الحقيقة على شىء . كالشاب الذى يتطاول على والديه لأنهما فى نظره يستمسكان بعقيدة قديمة بالية ، هى عقيدة البعث ليوم الحساب والجزاء ، أما هو فمفكر حديث لا يسعه القبول ولا التسليم بهذه العقيدة ، فضلًا عن الإيمان بها ، فقد خَلَتِ القرون من قبله ، ولم يبعث منهم أحد ، ومع هذا فإنهما يبالغان فى الإلحاح عليه لقبول نصحهما ، ويتوسلان إليه بقبول الإيمان بدافع العطف والشفقة ، فما يكون منه إلا الضَّجَرُ والتأفُّف ، وهما يستغيثان الله ، وَيْلَك آمِن ، وينكران عليه جحوده ، ويقولان له : آمِنْ إن وعد الله حق ، فلا يلقيان منه إلا السخرية والاستهزاء : ماهذا إلَّا أساطير الأولين .

فهَذَا الصنف من الشباب – وما أكثرهم – هم الذين تُبْتَلَى بهم المجتمعات ، وتشقى بهم الأمم ؛ لأنهم بهذه الأفكار سيتحللون فلا يُحَرِّمُونَ حرامًا ، ولا يُحِلُّون حلالًا ، فضلًا عن كونهم لا يعرفون حدود الخير والشر ، ولا يميزون الخبيث من الطيب ، ولا الغث من الثمين ، ويصيرون بهذا الخُلْطِ على الأمة جَيْشَ إفْسَاد ومنكرات ، وتتحطم بهم وعلى أيديهم المبادئ والقيم .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

(ز) همسات فى آذان المسئولين عن الشباب :

أولًا : الشباب بالنسبة للأمة :

إن الشباب فى كل أمة هم عدتها وعتادها ، فعلى سواعدهم الفتية تقوم الحضارات ؛ لما لهم من قدرة على السعى والعمل ، والبذل والعطاء ، وهم وصية الله ووصية رسوله ، كما أنهم أمانة فى أعناق الذين يَلُونَ أمرهم من قريب أو من بعيد ، هم أمانة فى أيدى الأباء والأمهات ، هم أمانة فى أيدى الأساتذة والمربين ، هم أمانة فى أيدى وسائل إعلام المجتمع (المقروءة والمسموعة والمحكية المرئية) فعن طريقها يتشكل الفكر وتتحرك العواطف ، هم أمانة فى أيدى مصالح المجتمع وهيئاته ومرافقه العامة التى يتعاملون معها ، ويحتكون بها فى ممارساتهم اليومية والحياتية تأثرًا وتأثيرًا .

ثانياً : تضافر الجهود نحو إعداد الشباب :

يجب أن تتضافر جميع الجهود المعنية بإعداد الشباب – والتى ألمحنا إليها – بصورة فعالة ، فلا نرى إلا التنسيق التام بين البيئة الخاصة (الأسرة) والبيئة العامة (المدرسة والمجتمع) ، فما هذه الدوائر إلا حلقات يرتبط بعضها ببعض برباط وثيق ، ويتحدد دور كل منها على النحو التالى :

١ – الأسرة :

ولا شك أن دور الأسرة يقع فى مقام الصدارة من هذه الدوائر المؤثرة والفاعلة ، فعلى الأبوين تقع مسئولية التنشئة الصحيحة ، من تصحيح للعقيدة ، وترسيخ للقيم فى أذهان الأبناء ، ومن متطلبات ذلك بطبيعة الحال صحة عقيدة الأبوين ، وتطبيقهما لشعائر الدين تطبيقاً سليماً ، وتلك نقطة أساسية وجوهرية

يجب التنبه إليها ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وبقدر ما يقع على الآباء من عبء غرس الفضائل والصفات الحميدة فى نفوس النشء بقدر ما يتحملون من عملية التقويم والمتابعة ، وتلك عملية أخرى أكثر أهمية ، وفى ذلك يقول الله – تعالى : ﴿ وأْمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ [1] .

٢ – المدرسة :

وللمدرسة ومعاهد العلم دور بارز فى هذا الصدد ، فتلك هى الدائرة التى تلى الأسرة ، فيجب أن تكون مناخًا صالحًا للتربية والتعليم ، بما فى ذلك من قدوة حسنة ، تتمثل فى الأساتذة والمربين ، وبما فيها من أُخوة صادقة ، وزمالة كريمة بين المتعلمين ، كما يجب أيضًا أن تتوفر فى هذا المجتمع والمؤسسة الاجتماعية الصغيرة نسبيًّا مقومات المجتمع المسلم ، كاحترام الدرس ، واحترام المال العام ممثلاً فى أثاث المدرسة ، والاحترام المتبادل بين الأفراد ، وتعود الصدق فى القول والعمل ، واحترام مواعيد الصلاة ، والتنبيه عليها ، واصطحاب التلاميذ لأدائها فى صورة منظمة ، تتضح لهم من خلالها روعة الإسلام وحسن تعليمه ، حتى إذا ما شبُّوا عن الطوق شبوا وهم لهذه العبادة محبون ، وعلى أدائها يحرصون .

٣ – المجتمع الكبير :

ثم يأتى من بعد ذلك دور المجتمع الكبير بما فيه من مصالح ومرافق ، يتعامل النشء معها بصورة عملية أكثر من تعامله مع دور العلم ومعاهده ، فيجب أن يكون الواقع الفعلى فى تلك المرافق منسجماً مع الواقع النظرى فيها ، فلا نلقن

---

(١) سورة طه : ١٣٢ .

أبناءنا احترام المال العام مثلًا والصدق فى التعامل ، ثمّ إذا خرج إلى المجتمع وجد الكذب والسلب والنهب بطرقه الملتوية ، ودروبه المتشعبة فاشيًا بين الناس . فحينما تتوحد النغمة فى آذان النشء ، بدءًا من البيت ، ومرورًا بالمؤسسات التعليمية ، وانتهاءً بمرافق المجتمع ومؤسساته ، فستكون الثمار بإذن الله طيبة ، ولنا الأسوة والقدوة فى سلفنا الصالح – رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ثالثًا : مَغَبَّةُ التقصير فى التربية :

إذا ما قصرت الجهات المعنية بالتربية فإن المجتمع بأسره سيجنى مُرَّ الثمار ، وأوخم العواقب ، فإذا جعل الآباء شغلهم الشاغل العمل على إشباع بطون الأبناء وتوفير ماديات الحياة للأبناء فحسب ، وتشاغلت المؤسسات التعليمية عن دورها الحقيقى ، فأصبحت فى وادٍ آخر ، ولا هم لها إلا قتل الوقت فى التسلية والتلهية ، وإن أحسنت خلطت العمل الصالح بالسيئ فعندئذ لن نجد إلا شبابًا محطمًا ، يعانى من انفصام الشخصية والعقد النفسية ، والانحرافات الفكرية ، فتقع الكَثْرَةُ الكاثرة منهم فريسة ونهبًا للتيارات الإلحادية ، والمعتقدات المادية ، فتراهم يعتنقون اليوم من المذاهب ما يثورون عليه غدًا أو بعد غد ، حيث ضاعت من القدم الطريق ، واستعصى الحكم الصحيح على الأشياء ، ولا أدل على هذا الاضطراب من موجات التقليد بين الشباب ، فترى سباقًا فى تقليد كل من الفتيان والفتيات للآخر ، من نحو إطالة الشعور أو تقصيرها ، ولبس الحلى الذهبية والملابس الحريرية ، بالرغم مما فى ذلك من مخاطر وأضرار على الشخصية السوية ، وفى ذلك يقول الشاعر :

شبابَ النيل يازَيْنَ الشباب ويا أشبـالَ آساد غِضَابِ
أرى فيكم فريقاً حين يمشى يهز بأنفه طرف السَّحَابِ

لزهر النرد قد خُلقت يداه ... وليست لليَراع وللكتـاب
تفنَّن فى مُحاكاة العـذَارى ... وخَالَفهن فى وَضْع النِّقاب
وأرسَلَ شعره المصْفُوفَ يحكى ... وميضَ البرق أو لمعِ السَّراب
له حُلل تحاكى الطيفَ لونًا ... بأزرار من الذهب اللباب
إذا الليثُ اسْتَحَال بمصرَ ظبياً ... فمن يحمى البلاد من الذئاب ؟؟

فَلْنَتَّقِ الله فى أبنائنا ؛ لكى نجنى من ورائهم كل خير ، حتى إذا ما سلِّمَ زِمَامُ الأمر إليهم ساروا سيرةَ الآباء ، فيستفيد منهم المجتمع الخير والعزة والهناءة .

وفق الله الجميع للأخذ بهذه الأسباب

والحمد لله أولًا وآخِرًا ، وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

* * *

obeikandl.com

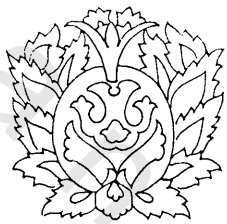

obeikandl.com

قائمة المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – جواهر التفاسير : مصطفى محمد المليجى ، طبعة صبيح ١٩٥٧ م .

٣ – تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، مكتبة التراث الإسلامى .

٤ – تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر – القاهرة .

٥ – صفوة التفاسير للصابونى ، دار القرآن الكريم ١٩٨١ م .

٦ – المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٠ م .

٧ – الأدب المفرد للبخارى ، مكتبة الآداب ، ١٩٧٩ م .

٨ – صحيح مسلم بشرح النووى ، طبعة الشعب .

٩ – الأذكار للنووى ، طبعة دار الملاح للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م .

١٠ –رياض الصالحين للنووى ، دار المأمون للتراث .

١١ –تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، لابن الديبغ ، طبعة صبيح ١٩٦٣ م .

١٢ –مواقف من السيرة النبوية ، مصطفى حسين عطار ، دار العلم للملايين ١٩٨٠ م .

١٣ –شرح عقود اللجين فى بيان حقوق الزوجين ، الشيخ محمد بن عمر نورى ، المطبعة المحمودية التجارية – القاهرة .

١٤ –أضواء من السنة ، جماعة دار الحديث النبوى – دار الشعب ١٩٦٩ م .

١٥ –فى ظلال الإسلام ، محمود أمين النواوى وآخرين ، دار العهد الجديد للطباعة ١٩٥٧ م .

obeikandi.com

١٦ – من وصايا الرسول – ﷺ – طه عبد الله العفيفى ، دار الاعتصام ١٩٧٣ م .
١٧ – إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، طبعة الشعب .
١٨ – موارد الظمآن لدروس الزمان ، عبد العزيز المحمد السلمان ، السعودية .
١٩ – قصص من السنة ، د. أحمد عمر هاشم ، دار ثابت ١٩٨٤ م .
٢٠ – الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية ، للشيخ محمد المدنى بتحقيق الشيخ محمود أمين النواوى ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ م .
٢١ – التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ، الشيخ منصور على ناصف ، دار الفكر ١٩٨١ م
٢٢ – أخلاق الدعاة إلى الله ، النظرية والتطبيق ، د. طلعت محمد عفيفى ، مكتبة الإيمان ١٩٨٩ م .
٢٣ – نظام الأسرة فى الإسلام ، د. على يوسف السبكى ، دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠ م .
٢٤ – الأسرة المسلمة وقضايا العصر ، أحمد عبد الرحيم السايح ، دار الطباعة المحمدية ١٩٨١ م .
٢٥ – موقف الإسلام من تنظيم الأسرة ، وزارة الأوقاف – القاهرة ١٩٨٩ م .
٢٦ – حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها ، طه عبد الله العفيفى ، دار الاعتصام ١٩٨٠ م .
٢٧ – تربية الأولاد فى الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة ١٩٩١ م .
٢٨ – علاقة الآباء بالأبناء فى الشريعة الإسلامية ، د. سعاد صالح ، تهامة – جدة – السعودية ١٩٨٤ م .
٢٩ – المفيد فى الفقه الإسلامى (الزواج وأحكام الأسرة) ، د. عبد الرحمٰن العدوى ، مكتبة الإيمان ١٩٨٩ م .

obeikandl.com

٣٠ – مجلة العلوم السكانية المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر – عدد يوليو ١٩٩٠ م .
٣١ – مجلة الأمة ، العدد (٧٠) السنة السادسة ، يونيو ١٩٨٦ م .
٣٢ – قرة العيون بشرح نظم ابن يامون فى النكاح الشرعى ، وآدابه ، التهامى كنون الإدريس الحسنى ، طبعة الحلبى ١٩٨٢ م .
٣٣ – عيون الأخبار ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى جـ ٤ المؤسسة المصرية العامة للتأليف .
٣٤ – الإعجاز العلمى فى الإسلام (القرآن الكريم) ، محمد كامل عبد الصمد ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠ م .
٣٥ – الإعجاز العلمى فى الإسلام (السنة النبوية) ، محمد كامل عبد الصمد ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠ م .
٣٦ – الدين والمجتمع ، عدد خاص من مجلة الرائد ، مارس – أبريل ١٩٦٥ نقابة المهن التعليمية .
٣٧ – التربية الإسلامية للطفل والمراهق ، لواء أركان حرب محمد جمال الدين على محفوظ ، دار الاعتصام ١٩٨٦ م .
٣٨ – أدب البنت ، محمد محمد هلال ، المطبعة الأهليه بميت غمر ١٩١٤ م .
٣٩ – اختيار الزوجين فى الإسلام ، حسين محمد يوسف ، دار الاعتصام ١٩٧٩ م .
٤٠ – الختان ، رأى الدين والعلم فى ختان الأولاد والبنات ، أبو بكر عبد الرازق ، دار الاعتصام ١٩٨٩ م .
٤١ – أدب الطفل العربى ، د. حسن شحاته ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١ م .
٤٢ – المرأة فى ظلال القرآن ، عكاشة عبد المنان الطيبى ، دار الفضيلة .
٤٣ – العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية ، د. أحمد على المجدوب ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١ م .

٤٤ – حقوق الطفل فى الإسلام ، جودة محمد عواد ، دار الفضيلة ١٩٩١ م .
٤٥ – جريدة أخبار اليوم القاهرية عدد السبت ١٩٨٩/١٠/٢١
والعدد ١١٦٥٥ السنة (٣٨) فى ١٩٨٩/٩/٢٠ .
٤٦ – مجمع الزوائد للهيثمى جـ ٤ .

* * *

obeikandl.com